تعرف على "قذافي" غامبيا

الجمعة 20 يناير 2017 03:01 م

من المرجّح أن يجبر ضغط المجموعة الاقتصادية لغرب إفريقيا "إيكواس"، وبدعم من مجلس الأمن الدولي، الرئيس الغامبي يحيى جامع، على التنازل عن السلطة، بالرغم من تشبثه بها إلى آخر لحظة، ومحاولات الوساطة التي قادها عدد من الزعماء الأفارقة.

يحيى جامع، الذي خسر الانتخابات الرئاسية أمام منافسه أداما بارو، في ديسمبر الماضي، ورغم إقراره في البداية بهزيمته، إلا أنه عاد ورفض نتيجة الانتخابات، وأصر على إعادتها بدعوى أنه حصل خطأ في احتساب الأصوات، اعترفت به "اللجنة الانتخابية المستقلة".

وفي 17 يناير الجاري، أعلن جامع (51 سنة)، حالة الطوارئ لمدة ثلاثة أشهر قبل نهاية ولايته بيوم واحد.

غير أن "إيكواس" اتهمت جامع، بمحاولة البقاء في السلطة، وهددت باستعمال القوة إذا لم يتنازل عن السلطة في 19 يناير (أمس الخميس).

ورغم إعلان قائد الجيش الغامبي عثمان بادجي، تخليه عن دعم يحيى جامع، وأكد أنه لن يقاتل الجيش السنغالي إذا دخل البلاد، إلا أن جامع، رفض التنازل مرة أخرى عن السلطة، رغم خسارته أكبر حلفائه في البلاد.

وأمس الخميس، دخلت القوات السنغالية الأراضي الغامبية لإبعاد جامع، عن السلطة، لكنها توقفت بطلب من الرئيس الغيني ألفا كوندي، الذي قاد وساطة أخيرة رفقة وفد من "إيكواس" والأمم المتحدة، بعد تلك التي قادها الرئيس الموريتاني ولد عبد العزيز، أمس الأول.

وغامبيا تعتبر من أصغر الدول الإفريقية، ومساحتها لا تتجاوز 10.7 آلاف كلم مربع، وعدد سكانها لا يتجاوز مليون و800 ألف نسمة، بينما لا تتعدى قواتها الألف و900 عسكري، كما أنها جغرافيا تمتد بشكل أفقي على طول نهر غامبيا، حيث تعد جيبا طويلا داخل الأراضي السنغالية التي تحيط بها من ثلاثة اتجاهات باستثناء الجهة الشرقية المطلة على المحيط الأطلسي.

وسبق للسنغال أن تدخلت عسكريا في غامبيا سنة 1981، وخسرت 160 قتيلاً، لإعادة الرئيس السابق "دوود جاورا"، إلى الحكم بعد محاولة انقلاب انتهت بالفشل.

ودعم المغرب السنغال حينها عسكرياً، إلا أن العاهل المغربي الملك محمد السادس، أعلن هذه المرة أن بلاده لن تتدخل ثانية في غامبيا.

ويعتبر الرئيس الغامبي، يحيي عبد العزيز جاموس (قام بتغيير الاسم الأخير إلى جامع ليتناسب مع ما يدعيه من توجهات إسلامية) من أكثر الرؤساء الأفارقة إثارة للجدل والغرابة في تصرفاته الشخصية ومزاجه المتقلب، والتي تنعكس كلها في طريقة إدارته للحكم.

ففي يوليو/تموز 1994، وصل جامع، إلى السُلطة عن طريق انقلاب عسكري أبيض قاده ضد أول رئيس لبلاده، داود جاورا (1970-1994)، والذي تولى رئاسة الوزراء بعد استقلال البلاد في 1965، من الاحتلال البريطاني، حيث كانت البلاد تتبع نظام الملكية الدستورية، قبل أن تتحول إلى نظام جمهوري في 1970.

لم يتجاوز جامع، حينها 29 سنة، وهو الضابط المغمور في جيش بلاده، وظل منذ 1994، يحكم بلاده بقبضة حديدية، حيثُ أعيد انتخابه لخمس دورات متتالية بدأت بعد انقلابه بعامين (1996) حين أسس حزبه الخاص: "التحالف الوطني لإعادة التوجيه والبناء"، ثم أعيد انتخابه بعد ذلك في الأعوام 2001، و2005، ثم 2011.

وأجريت الانتخابات الرئاسية الأخيرة في الأول من ديسمبر/كانون الأول الماضي، حيث اعترف جامع، بهزيمته أمام منافسه زعيم المعارضة

آدم بارو، وأعلنت الهيئة العليا للانتخابات الغامبية عن فوز الأخير بأغلبية أصوات الناخبين بفارق قدره 60 ألف صوت وبنسبة بلغت 45.5% من الأصوات مقابل 36.7% لجامع، وكان يفترض أن تنهي فترة حكم جامع بعد 22 عاماً.

وبعد أن أقر جامع، بهزيمته في خطاب مقتضب بث مباشرة على شاشة التلفزيون بقوله، إن "الغامبيين قرروا أن أنسحب وصوتوا لشخص آخر لقيادة البلاد".

ثم أعقب ذلك باتصال هاتفي مهنئاً خصمه آدم بارو، مخاطباً إياه بقوله: "أنت الرئيس المنتخب لغامبيا أتمنى لك النجاح والأفضل"، مؤكداً على نزاهة العملية الانتخابية، ووصفها بـ"الانتخابات الأكثر شفافية في العالم".

إلا أن جامع، عاد، كعادته في تفجير المفاجآت واتخاذ الموقف وضده، فشكك في نتيجة الانتخابات بعد أن أعلنت الهيئة مراجعة نتائج الفرز النهائية، تقليص الفارق في عدد الأصوات بين المرشحين من 60 ألفاً إلى 20 ألفاً فقط، وهو ما اتخذه الرئيس الغامبي، ذريعة للتنصل من قبوله بالنتيجة، متراجعاً عن تصريحاته السابقة في هذا الخصوص.

هذا الموقف الغريب والمفاجئ دفع مجموعة "ايكواس"، التي تضم الى جانب غامبيا جارتها الكبرى السنغال ودول أخرى، لتحرك مضاد، قاده الرئيس السنغالي مكي سال، الذي قصد العاصمة الفرنسية باريس مجتمعاً بالرئيس فرانسوا أولاند، ليطالبا معاً الرئيس الغامبي يحيى جامع، "بالانصياع لما تمخضت عنه الانتخابات، ولنتيجتها التي أقرها بنفسه قبل التراجع عنها".

قبل أن يدخل الجيش السنغالي إلى الأراضي الغامبية أمس الخميس، في نفس اليوم الذي أدى فيه الرئيس الجديد أداما بارو، اليمين الدستورية في السنغال.

ومن القرارات التي ميزت فترة حكم جامع، إعلانه في 11 ديسمبر 2015، وبشكل مفاجئ، غامبيا "جُمهوريَّة إسلاميَّة"، معبراً عن ذلك بأنها تهدف إلى تخليص البلاد من ماضيها الاستعماري، قائلاً: "غامبيا .. في يدي الله، وابتداء من اليوم فإنها دولة إسلامية، وسنكون دولة إسلامية تحترم حقوق المواطنين".

وأضاف، في خطاب تلفزيوني، أنه "وتمشيًا مع الهوية والقيم الدينية للبلاد، أُعلن غامبيا دولة إسلامية، لأن المسلمين (95% من السكان) يمثلون الأكثرية في البلاد، وهي بذلك لا تستطيع مواصلة الإرث الاستعماري".

وتعهد جامع بمنح غير المسلمين الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية.

وسبق ذلك في 2013، إصدار قرار سحب بلاده من رابطة الكومنولث (تضم 54 دولة من المستعمرات البريطانية السابقة)، متهماً إياها "بفرض خطط الهيمنة الغربية على جميع دول العالم النامي وبأنها تكريس لاستعمار جديد".

وعبرت حينها الخارجية البريطانية عن أسفها العميق لهذا القرار.

ثم أعقب ذلك في 2014، قرار حظر اللغة الإنجليزية التي كانت اللغة الرسمية للبلاد، باعتبارها "إرثا استعماريا".

وعلى الصعيد الشخصي، يُعتبر الرئيس جامع نفسه "خبيراً في الأعشاب والعلاج بالأدوية الشعبية"، حيث أعلن في 2007، توصله إلى علاج لمرض الإيدز عن طريق الأعشاب، حسب بيان رسمي للقصر الرئاسي.

كما يزعم أيضا اكتشافه علاجاً لمرضي الربو والصرع، عن طريق الأعشاب.

جامع، الذي وُلد بعد ثلاثة أشهر فقط على استقلال بلاده عن بريطانيا، في 18 فبراير/شباط 1965، لم يعرف عنه انتظامه في تعليم مدني حتى انخراطه في سلك الجندية بالجيش الغامبي.

ويُعرف عنه، "ولعه" بالأضواء والإعلام، حتى أن بعض المراقبين يرجعون تصرفاته الغريبة لتلك الصفة التي تهدف، حسب تفسيرهم، إلى "لفت الأنظار وخلق هالة وكاريزما حول نفسه"، وينعكس ذلك حين يظهر في كل المناسبات "ممتشقاً" سيفاً بيده لا يفارقه أبداً في كل المناسبات.

كما يُشبه بعض المحللين سُلوك الرئيس بتصرفات وسُلوك الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، حتى لقبته بعض الصحف بـ"قذافي غامبيا"، من حيث الحرص على رسم صورة لـ"هيبة مصطنعة" وإدعاء الصرامة وتقلب المزاج.

تدخل المجتمع الدولي وبقيادة "إيكواس" لمنع يحيى جامع، من البقاء في السلطة بالقوة رغم هزيمته في الانتخابات، يؤرخ لمرحلة جديدة في تاريخ القارة الإفريقية، لن يكون فيها من السهل على الزعماء المعمرين في الحكم البقاء في السلطة رغمًا عن شعوبهم.